Jordan Journal of Applied Science-Humanities Series

Volume 35
Issue 2 *35-2*

Article 9

2023

Jerusalem: One City, Three Faiths (A Critical Historical Study of Karen Armstrong's Book)

Shaden Al-Wahsh
Al-Zaytoonah University - Jordan, shadenmoh@hotmail.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jjoas-h

Part of the Political Science Commons

Recommended Citation

Al-Wahsh, Shaden (2023) "Jerusalem: One City, Three Faiths (A Critical Historical Study of Karen Armstrong's Book)," *Jordan Journal of Applied Science-Humanities Series*: Vol. 35: Iss. 2, Article 9.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jjoas-h/vol35/iss2/9

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jordan Journal of Applied Science-Humanities Series by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact marah@aaru.edu.jo,rakan@aaru.edu.jo .

Jordan Journal of Applied Science - Humanities Series
Applied Science Private University
2023, Vol 35(2)
e-ISSN: 2708-9126

Research Article

Jerusalem: One City, Three Faiths (A Critical Historical Study of Karen Armstrong's Book)

القدس مدينة واحدة: عقائد ثلاث (دراسة نقدية من منظور تاريخي لكتاب كارين أرمسترونج)

Shaden Al-Wahsh[1*].

[1]Al-Zaytoonah University, Amman, Jordan.

ARTICLE INFO

Article history:
Received 05 Aug 2021
Accepted 17 Oct 2021
Published 01 Apr 2023

*Corresponding author:
Al-Zaytoonah University, Amman, Jordan.
Email: shadenmoh@hotmail.com.

Abstract

Religious knowledge may hold greater value than some other forms of knowledge. Karen Armstrong, the researcher, worked diligently to gather information for her book, which was translated into Arabic from Jewish, Christian, and Islamic sources. She presented her perspective using a rich vocabulary, along with a comprehensive vision and subjectivity. Her book focuses on holy geography, highlighting the symbols that give certain places significant value. According to her book, the sacred feeling precedes the physical places and temples. After considerable effort, Karen sought to find a common link among the three Abrahamic religions. However, given the substantial amount of historical information presented by the author, it is possible that mistakes or generalizations occurred. Additionally, not all adherents of her religion or those of other faiths agree with her views. In this paper, the researcher aims to explore the different aspects of Karen's book about Jerusalem, presenting information regarding the Jewish perspective on the city, as well as the viewpoints of Arab researchers. The researcher relied on various sources, with the most significant being Karen Armstrong's book.

Keywords: Jerusalem, The Canaanites, Al-Aqsa Mosque, Israel, Zion, Christianity.

الملخص

حب المعرفة لهدف ديني قد يكون ذا قيمة كبيرة، وروح أكبر من أبحاث خاصة بالدراسة أو المعرفة المجردة، لقد بذلت الراهبة الباحثة كارين آرمسترونج جهداً كبيراً في جمع معلومات كتابها المترجم إلى اللغة العربية من مصادر عدة؛ يهودية ومسيحية وإسلامية وتاريخية وغيرها. أما فكرة الكتاب فتقوم على الجغرافية المقدسة المرتبطة برموز تعطي الأماكن قيمة كبيرة لتمنح المؤمنين نظرة قدسية للمكان، وقد حاولت جاهدة أن تجد رابطاً مشتركاً بين الفكرة الدينية للأديان السماوية الثلاثة. إلا أن تشعّب الموضوع قد يؤدي إلى الوقوع في الأخطاء أو التناقض أو التعميم أحياناً، وربما لا يتفق معها أتباع دينها في بعض الجوانب الفكرية التي تقدمها، وهو أمر ينسحب على المسلمين واليهود. فهي تقدم للباحث العربي معلومات هامة خاصة فيما يتعلق بوجهة نظرها حول النظرية اليهودية حول القدس، بينما تمثل دراستي للكتاب وجهة نظر مختلفة عما قدمته الباحثة. يتبين من البحث المقدم أن الباحثة تأثرت بالنظرية التوراتية لدراستها المقدمة حول القدس رغم محاولاتها العديدة التقيد بالموضوعية في الكثير من القضايا الدينية الحساسة. كما يُظهر البحث صراع الصهاينة المستعمرين الذين تبنوا ما هو شاذ وبعيد عن فكرة الدين اليهودي، ليثبتوا حقوقاً لهم في القدس أو الشام أو في المملكة التاريخية لإسرائيل، لكن كل منطلقاتهم لم تكن على أسس تاريخية صحيحة، بل على خرافات وأوهام، حاولوا نقلها حتى

https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468

إلى أصحاب العقائد الأخرى. ويتبين أيضاً حاجة الفئة الأكبر وليست الأقوى من مسلمين ومسيحيين للتعايش إلا أن الأقلية الأقوى (الصهاينة) والأكثر تأثيراً على مستوى العالم لا ترغب إلا بالقتال كما بينت النصوص السابقة. كما لا تزال الدراسات الخاصة بتاريخ القدس الكنعاني قليلة وينقصها الكثير من البحث والدراسة كما ينقصها تسليط الضوء على الجزء الذي تم تناوله بالدراسة.

الكلمات المفتاحية: القدس، الكنعانيون، المسجد الأقصى، إسرائيل، صهيون، المسيحية.

١. المقدمة

١,١ الإطار النظري والدراسات السابقة

يعد كتاب (القدس مدينة واحدة: عقائد ثلاث) من الكتب الموسوعية التي سمحت الباحثة (Karen Armstrong) من خلاله بطرْقِ موضوع هام يكاد يكون الموضوع المحوري للأديان السماوية الثلاثة وأتباعها وهو موضوع القدس. ففي كتابها المترجم للغة العربية تنتقل زمنياً من العصور القديمة إلى العصور الحديثة في موضوع القدس معتمدة على ما تعنيه القدس لكل دين سماوي، مضافاً إليه الأحداث التاريخية التي صنعها أتباع الأديان في القدس، ومدى مخالفتهم أو موافقتهم لشرائع دينهم حول ممارساتهم في القدس نفسها.

فهي تبحث في مفهوم (القدسية) ودلالاته، محاولة الربط بين ما هو مقدس، وعلاقته بالمكان(الجغرافيا) وتحديداً (الجغرافيا المقدسة)، وفيما إذا كان المكان المقدس يحتاج لرموز أو أساطير مرتبطة بمعابد لكي يكون مقدساً، مع ما يصاحب ذلك من ادعاء الملكية ثم الاقتتال حول هذه الملكية المقدسة؟

بعد دراسة الكتاب والتي حرصت فيه الباحثة على أن تكون أكثر موضوعية من غيرها من الباحثين الغربيينِ في تناولها لموضوع مدينة القدس، لأنه مع الأسف النظرية التي يكون لها الغلبة والتي يقدر لها الانتشار دائماً هي نظرية الحضارة الأقوى لا النظرية الصحيحة، بصرف النظر عن قوة الحضارة، لذلك فمقولة وينستون تشرشل (Winston Churchill) رئيس الوزراء البريطاني وقائدها في الحرب العالمية الثانية أن (التاريخ يكتبه الأقوياء) صحيحة في أغلب الأحيان.

وأحياناً يتبنى الباحثون العرب وجهة النظر الغربية لا لأنهم يؤمنون بها، بل لأنها الفكرة الأكثر انتشاراً أو الأكثر سيطرة على تفكير معظم من يتناولونها بالدراسة دون القيام ببحوث فعالة لتأكيدها أو نفيها.

يؤمن جميع المسلمين في العالم بأن مدينة القدس مقدسة بالنسبة لهم وهذه القدسية بالنسبة لهم لا تعني نفي قدسيتها بالنسبة للمسيحيين أو اليهود، ودائماً وعبر التاريخ الإسلامي حرصت الدول الإسلامية المتعاقبة على رعاية أوقاف أهل الكتاب في القدس التزاماً منهم بنصوص القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾ سورة الممتحنة الآية(٨) إلا أن مشكلة المسلمين تكمن في مراحل ضعفهم والتي يخشون خلالها من محاولات أتباع الديانات الأخرى طمس المعالم الإسلامية داخل مدينة القدس خاصة أنه لم يتوفر في النصوص الدينية لدى أتباع الديانات الأخرى قواعد تبين آلية التعامل مع المسلمين .

وحاولت آرمسترونج في كتابها أن تؤكد على إمكانية التعايش وإمكانية الكف عن القتال حول القدس، كما حاولت أن تبحث عن الأفكار الدينية التي تتشابه في كل من اليهودية والمسيحية والإسلام حول القدس، لتدلل على أن فكرة القدس أو القدسية واحدة في الأديان الثلاثة. إلا أنها وقعت في بعض الأخطاء التي وقع فيها غيرها من الباحثين الغربيين وبعض العرب.

فمن غير الممكن أن تفصل ثقافتها الدينية عن بحثها، فهي كراهبة سابقة تعتمد الكتاب المقدس (التوراة)، (الانجيل) في دراستها. واعتمادها بدء فصلها الأول بصهيون لا يدل على تشددها، وإنما يدل على أنها اتبعت الباحثين باعتمادهم (التوراة كمصدر رئيسي لتاريخ اليهود في المنطقة وخاصة تاريخ فلسطين حتى السبي البابلي، وأخذ عنها (أي التوراة) بعض المؤرخين العرب القدماء كالطبري، وابن خلدون) (عرابي ، ٢٠٠٩م).

لا يستطيع القارئ الحكم على هذا الكتاب إلا بعد الانتهاء من قراءته قراءة كاملة، كما يقدم الكتاب آفاقاً جديدة للباحث العربي في قضية القدس، كما أنه يجعلنا ننظر بعناية إلى نظرة الآخر للقدس، فهل النظرة للقدس في الأديان الثلاثة واحدة؟ وهل تلك المعابد التي تشكل أساس صراع دائم في القدس كان وجودها من منطلقات عقائدية أم كان تشييدها كردود أفعال عدائية بين عقيدتين تختلفان في نظرة كل منها للقدس؟

https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468

تحاول الباحثة وبعد سرد تاريخي لعدائية الشعوب على أرض ذات جغرافية مقدسة أن تثبت أن لا مفر من التعايش داخل مدينة القدس، وهو أمر حث عليه الإسلام وتؤيده النصوص القرآنية، ولقد كان هذا السرد التاريخي ملفتاً للنظر رغم بعض المطبات التي وقعت فيها عند تفسير عقيدة الآخر بإسقاط وجهة نظرها الخاصة كما حدث عندما تناولت بعض الأحداث الإسلامية بالدراسة ، كحادثة الإسراء والمعراج مثلاً ،وأحياناً محاولة تقريب سلوك ديني لدى اليهود إلى سلوك ديني قام به المسلمون والأمثلة كثيرة، والأهم من كل ذلك هو نقد مضمون هذا الكتاب، الذي قد يدفعنا أيضاً إلى نقد الذات خاصة فيما يتعلق بحقيقة الرغبة في التعايش المشترك في مدينة القدس والتسامح في تقبل الآخر ووجوده في القدس.

٢. مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في عدد من القضايا منها مفهوم (القدسية) و (الجغرافيا المقدسة)، وفيما إذا كان المكان المقدس يحتاج لرموز أو أساطير مرتبطة بمعابد لكي يكون مقدساً، مع ما يصاحب ذلك من ادعاء الملكية ثم الاقتتال حول هذه الملكية المقدسة؟

كما أن اعتماد الباحثة على التوراة كمصدر رئيسي لتاريخ اليهود في المنطقة حتى السبي البابلي، والاعتماد على التوراة لدراسة تاريخ القدس هو مشكلة في أغلب المصادر الحديثة والقديمة، الأمر الذي جعلني أبحث في المصادر التي تناولت تاريخ الحضارة الكنعانية، وتسليط الضوء عليها لتكون مراجع للباحثين في دراساتهم عن القدس بعد ذلك.

ومن بين الموضوعات التي يناقشها البحث مدى إمكانية التعايش في مدينة القدس، وهل حدث ذلك عبر تاريخ القدس؟ وهل التعايش الذي طبقه المسلمون في فترة حكمهم للقدس طبق في مراحل أخرى لم يكن الحكم الإسلامي موجوداً فيها.

هذه القضايا وغيرها مما لا حصر له يمثل مشكلة قضية القدس أولاً، ومشكلة هذه الدراسة ثانياً، وإني آأمن كغيري من الباحثين أن الاستمرار في دراسة هذه القضايا سيفضي إلى نتائج هامة فيما يتعلق بتاريخ القدس وآلية التعايش داخل هذه المدينة المقدسة.

٣. أهمية وأهداف الدراسة

٣,١ أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على علاقة أتباع الأديان السماوية الثلاثة في القدس وآلية التعايش فيما بينهم، كما تبحث هذه الدراسة في إمكانية تقبل أتباع الأديان لوجود رموز ومعابد المخالفين لهم في العقيدة، ويلقي البحث الضوء على تاريخ القدس الكنعاني الذي غاب عن كتاب الباحثة في أغلب القضايا الهامة لسيطرة الرواية التوراتية على البحث، حتى وإن حاولت الباحثة الالتزام بالموضوعية والحياد في الكثير من القضايا التي تناولتها بالدراسة.

٣,٢ أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

١. ضرورة تنبيه الباحثين فيما يتعلق بتاريخ القدس إلى التوقف عن اعتماد الرواية التوراتية كرواية مرجعية وأصيلة لتاريخ القدس.

٢. التوقف عن استبعاد تلك الدراسات التي تشير إلى تاريخ الكنعانيين في فلسطين وفي القدس على وجه الخصوص.

٣. التعايش ضرورة ملحة في مدينة القدس في ظل تعدد الأديان والطوائف فيها.

لا يمكن تحقيق التعايش إلا إذا التزمت جميع الأطراف بتطبيقه واحترام الحرية الدينية للآخر في القدس.

يزداد تقدير العالم لسكان القدس عندما يزداد احترامهم لقدسية المكان.

قدسية المكان لا علاقة لها بالرموز ولا بدور العبادة ولا حتى بالأسبقية في القدس، وإنما تكمن بالتوقف عن إراقة الدماء في القدس باسم الدين لإلغاء وجود الآخر.

https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468

٤. وصف عام للكتاب والفكرة التي يقوم عليها

ترجمة الدكتورة فاطمة نصر والدكتور محمد عناني كتاب (القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث) لمؤلفته كارين آرمسترونج لحساب مكتبة الأسرة في القاهرة عام ٢٠٠٩م. وهذا الكتاب يقع في ٦٨١ صفحة متوسطة الحجم بالإضافة إلى الملاحق، من بينها الصور والخرائط، والرسوم التوضيحية التي وردت في الكتاب نفسه، ويتكون الكتاب من ثمانية عشر فصلاً.

وهي تقدم لكتابها بالقول : (يتجلى التاريخ في القدس أكثر من أي مكان آخر باعتباره بعدا من أبعاد الحاضر) كانت آرمسترونج في صغرها راهبة وعندما زارت القدس من أجل العمل فيها عام ١٩٨٣م ، كانت معرفتها بالقدس تنحصر بما جاء في الإنجيل عن قصص الملك داود أو المسيح عليهما السلام .أما فصول الكتاب فقد غطت تاريخ القدس كاملاً، ففي الفصل الأول (صهيون) تؤكد على أنه لا يعرف أحد شيئاً عن الكنعانيين وتتكلم بعد ذلك عنهم في ثلاث صفحات فقط ثم تبدأ الحديث عن الصحراء اليهودية وعن السيطرة المصرية على بلاد الشام، أما في الفصل الثاني (إسرائيل) فتتناول بني إسرائيل منذ ظهورهم في بلاد ما بين النهرين إلى استرقاقهم. ويتبع بعد ذلك عناوين الفصول فعنوان الفصل الثالث(مدينة داود)والفصل الرابع(مدينة يهوذا) والفصل الخامس(المنفى والعودة)؟، وفي الفصل السادس (أنطاكية في يهوذا) وفي الفصل السابع: "الدمار" تتحدث عن ظهور المسيحية لكنها تعتبرها امتداداً لليهودية ، أما الفصل الثامن فعنوانه (إيليا كابيتولينا) ، وتناول الفصل التاسع بالدراسة (أورشليم الجديدة) ثم في الفصل العاشر:(مدينة مسيحية مقدسة) وفي الفصل الحادي عشر الذي عنوانه (بيت المقدس) تتحدث عن بعث محمد(صلى الله عليه وسلم) في مكة في مجتمع وثني تجاري كان على صلة باليهود وفي الفصل الثاني عشر تستمر بالحديث عن القدس في العهد الإسلامي، وفي الفصل الثالث عشر تبين أهم الحملات الصليبية على القدس، ويتناول الفصل الرابع عشر الجهاد الإسلامي ضد تلك الحملات، بينما يتحدث الفصل الخامس عشر عن القدس كمدينة عثمانية ، ويمثل الفصل السادس عشر المعنون (بإحياء) عودة إحياء الفكرة اليهودية على يد المنظمات الصهيونية. وفي الفصل السابع عشر تتحدث عن ظهور دولة إسرائيل الحديثة، ثم تعود في الفصل الثامن عشر وهو الأخير إلى عنوان(صهيون) لتؤكد على أن الدولة القائمة في فلسطين تمثل حلم اليهود في أرض الميعاد.

وتختم الباحثة حديثها (إن القدس قدسنا، إسرائيليين وفلسطينيين – مسلمين ومسيحيين ويهودا، وقدسنا فسيفساء من كل الحضارات، ومن جميع الأديان ... على أنه يجب التوصل إلى شكل من أشكال الملكية المشتركة كي تصبح صهيون مدينة للسلام بدلاً من كونها مدينة حرب) كما تدعو في نهاية فصولها إلى ضرورة تعامل اليهود مع الفلسطينيون بالطريقة نفسها التي تعامل فيها داود عليه السلام مع سكان يبوس عندما فتحها بتعايش. (آرمسترونج، ١٩٩٨م).

هذا موجز لمضمون الكتاب، لا يفي بكل جوانب موضوعاته إلا أنه يقدم لنا تصوراً عما أرادت الباحثة آرمسترونج أن تقوله في كتابها هذا.

- **الرواية التوراتية**

القضية الأولى التي تواجهنا في كتاب آرمسترونج، هي اعتمادها الرواية التوراتية بصورة أساسية في نهجها وفي فصول الكتاب، وللمؤرخين والأثريين وجهة نظر واضحة في ذلك تختلف عن وجهة نظر المتدينين.

لقد كافح المؤرخون العرب للبحث عن تاريخ القدس بل وعن تاريخ بلاد الشام ككل، ومن الأمور الغريبة بالنسبة لي أن يجد المؤرخون صعوبة في الوصول إليه يقول العسلي:(إن تاريخ القدس في الألف الثاني قبل الميلاد هو تاريخ فترة لم تكد تصلنا منها أية وثائق تاريخية على الإطلاق، ولما كانت المعلومات التاريخية الحقيقية المتوافرة لدينا حول المراحل المبكرة من حياة المدينة ضئيلة للغاية فسوف نسمي هذا الفصل (التاريخ الأول (Proto- history) للقدس أي التاريخ السابق للتاريخ المدون).ويشير محمد أديب العامري إلى أن بعض الباحثين الغربيين يعيدون صلة العرب في فلسطين إلى تاريخ دخول المسلمين إليها منذ ١٣٣٢ سنة مضت. (العسلي،١٩٩٢م)

لكن الموضوع الذي يثير التساؤل لديّ هو أن الكنعانيين (الفينيقيون واليبوسيون) هم أول من اكتشف الأبجدية في العالم أي اللغة المكتوبة ويشير أحمد سوسة في رسم رقم وهو رسم يمثل شجرة الأبجدية: (أن الخط الذي اقتبسه الأراميون الأولون من جيرانهم الكنعانيين أصبح مصدرا لمعظم الكتابات الحالية، فانتشرت إحدى صيغه في آسيا الصغرى وانتقلت إلى بلاد اليونان.

JJOAS المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية Jordan Journal of Applied Science
https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468
cc BY
https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jjoas-h/vol35/iss2/9

Jordan Journal of Applied Science - Humanities Series
Applied Science Private University
2023, Vol 35(2)
e-ISSN: 2708-9126

فكيف تمكن الكنعانيون من أن يعلموا كل العالم كتابة تاريخهم ولم يتمكنوا هم من كتابة ذلك التاريخ؟، ولماذا تاريخ جارتي - بلاد الشام- العراق ومصر مكتوب ومعروف وبالإمكان تتبع إنجازات السلالات الحاكمة فيه عبر الزمن لكن لا يمكن تتبع تاريخ بلاد الشام؟

في تقديم كتاب أحمد سوسة(العرب واليهود في التاريخ) يقول (رولف رايخارت) مبرراً سبب إهمال التاريخ القديم للكنعانيين :(أما عن عمل المؤلف فإنه عمل ضخم هياب، لا يعد قلباً بل تصحيحاً لقضايا تاريخية متوارثة عبر الأجيال أسيء فهمها، وهي ما تزال شائعة بين الناس ومقبولة منهم بفعل التوراة وتأثيرها منذ ما ينيف على الألفين والخمسمائة سنة وأنه من المؤكد أن إكشاف مدونات الأقوام التي عاشت قبل تدوين أسفار التوراة بزمن طويل، كالسومريين، والأكديين، والكنعانيين، والحثيين، والبابليين، والأشوريين، وأخيراً المصريين قد دللت بما لا يقبل الشك، على أن الكتابات التوراتية (ولا سيما الأسفار الخمسة الأولى لا يمكن التعويل عليها كمرجع تاريخي حقيقي، وذلك لكون تلك المدونات المكتشفة عاشت الأحداث التي عاصرتها، في حين أن كتابات التوراة تذكر أحداثاً سبقت ظهورها بثمانية قرون بالنسبة لزمن موسى وخمسة عشر قرناً بالنسبة لإبراهيم والخليقة). (سوسة)

يؤكد هذا التحليل الذي يستفيض (رولف) في شرحه على أن التوراة كتبت أحداثاً لم تعاصرها وجعلت السبق أساساً فيما تناولته، لكنه يؤكد على ضرورة أخذ المعلومات من المدونات لأمم وشعوب عاصرت الكنعانيين أو من الكنعانيين أنفسهم، لا اعتماد التوراة أو شروحها التي كتبت في فترة لم تعاصر ذلك الزمان أصلاً، ليكون غير المعاصرين مصدر العالم عن تاريخ الكنعانيين بينما تهمل مصادرنا المعاصرة ومنها الكنعانية في كتابة تاريخهم.

إن قدسية الكتاب المقدس بالنسبة لأغلب باحثي العالم جعلت منه كتاباً مقدماً على غيره في دراسة تاريخ القدس، هؤلاء الباحثون الذي يدعي أغلبهم العلمانية في دراساتهم، وعلى الجانب الآخر إن بعض الباحثين في الغرب ورغم قدسية القدس للباحثين العرب واحترامهم للكتب السماوية الثلاثة وإيمانهم بها إلا أن ذلك لم يمنعهم من البحث في تاريخ المدينة الأثري أو المدون بعيداً عن وجهة نظر الكتاب المقدس، وهذا ما فعله بعض المؤرخين العرب ككامل العسلي أو الأثريين العرب كأحمد سوسة.

لكن عندما يتبنى أحد المؤرخون اليهود هذا الموقف وبشدة أكبر بقوله: (إن الفترة التوراتية لم تحدث على الإطلاق، ولا توجد أدلة تؤكد صحة الرواية التوراتية، من المعتقد أن سكان العالم كله، وليس مواطني إسرائيل وأبناء الشعب اليهودي وحدهم، سيذهلون لسماع الحقائق التي باتت معروفة لعلماء الآثار الذين يتولون الحفريات في أرض إسرائيل منذ فترة من الزمن. ففي العشرين سنة الأخيرة حدث انقلاب حقيقي في نظرة علماء الآثار الإسرائيليين إلى التوراة باعتبارها مصدراً تاريخياً) (مالمات، ٢٠٠١م)

وعليه فإن الأساس الذي وضعت الباحثة كتابها على أساسه يخالف وجهة النظر العلمية وإنما يلتزم بوجهة النظر الدينية. كما أجد أن المشكلة في عدم الوصول إلى تاريخ الكنعانيين يكمن في أسباب عدة منها:(عدم القدرة على الوصول إلى آثارهم بسبب وجود إسرائيل، ونسبة الآثار الكنعانية لغيرهم، والحروب والظروف البيئية المستمرة في المنطقة، وأن تاريخ بلاد الشام لا ينفصل عن تاريخ العراق ولا عن تاريخ مصر القديمة بل متصل معهما).

❖ الأقدمية في القدس

أخذت فكرة الأقدمية في القدس جهد عدد من الباحثين العرب والباحثين الغربيين وهذا الأمر أشارت إليه الباحثة في كتابها فتقول: (كثيراً ما لاحظت أن صور الماضي تتركز على السؤال التالي: من الذي سبق الآخر إلى فعل شيء ما؟ من الذي سبق إلى العنف؟ من الذي كان يقيم في فلسطين أصلاً؟) وهذا السؤال لم يعجب الباحثة، ولم ترى له ضرورة، فإذا كان لا بد من البحث في هذا الإطار فالمسيح ولد وظهر في فلسطين لذا فإن أتباعه أحق بملكية المكان إن كانت القضية على هذا النحو لكن (أن تكون المدينة مهمة لليهود وللمسلمين ايضاً) فهو من الأمور غير المنطقية من وجهة نظرها، فاليهود موطنهم العراق والمسلمون موطنهم مكة. (آرمسترونح، ١٩٩٨م) ونظراً لأن الباحثة(آرمسترونج) وهنا لم تبحث بكون الأسبقية حضارية بقدر ما تناولتها من الجانب الديني في معرض حديثها، وهذا من المآخذ الرئيسية على كتاب غاية في الأهمية ككتابها.

هذا الأسلوب في تناول تلك القضية أمر لم يفرضه الناس على قضية القدس بل فُرض عليهم، خاصة أن النهج في دراسات القدس لدى أغلب الباحثين يعتمد التوراة، والتوراة طالما أشارت إلى السبق في القدس وأن القدس أرض (موعودة)

https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468

لليهود فقط، حتى وإن كانوا يؤمنون أنهم غرباء عنها سواءً في التاريخ القديم أو الحديث فهي: (وعد يهوه لهم). وبما أن القضية في التوراة حول من أقدم من نزل فلسطين؟ فمن المؤكد أن الجميع يُجمع ومعهم المؤرخون اليهود على أن الكنعانيين هم أول من أقام في فلسطين لكن الخلاف الجوهري هو في كيفية تناول الباحثين لذلك التاريخ، وما يعنينا هنا آلية تناول كاتبتنا لهذا التاريخ أولاً.

❖ الكنعانيون

ضمن القضايا الصعبة في هذا الكتاب أيضاً هي؛ أين هم الكنعانيون في ظل كل تلك الصفحات من الكتاب؟ هؤلاء الكنعانيون الذين يذكرون باسمهم ويُمر عنهم وكأنهم خيال لا يكاد يُرى، ليس فقط في كتاب آرمسترونج بل في أغلب المراجع التي تشير إلى القدس خاصة الغربية منها. إذ تؤكد على أنه (لا يعرف أحد شيئاً عن الكنعانيين وتتكلم بعد ذلك عنهم في ثلاث صفحات فقط ثم تبدأ الحديث عن الصحراء اليهودية وعن السيطرة المصرية على بلاد الشام يصحبه حديث عن الإله شاليم (إله الشمس الغاربة أو كوكب السماء) إله سوريا. وفيها وصف لنصوص اللعنات المصرية، وغزوات أهل البحر الفلسطينيين. (العسلي، ١٩٩٢م) لقد عرف الكنعانيون الإله (إيل) الذي دعا إبراهيم الخليل لعبادته ومن إيل تأتي كلمة العلي أو الإله العلي والخليل كلمة من شقين هي (خل وإيل) (سوسه)

ثم تتحدث عن تأسيس مملكة إسرائيل شمال القدس عام (١٠٣٠) ق. م فتقول: (وكان الفلسطينيون في هذه المرحلة ألد أعداء اليهود ... إذ يدرك شعب الله المختار أن غيرهم استقر في أرض كنعان قبلهم ، لكن الرب كان دائماً ما يصطفي الابن الثاني بدلاً من الأول) وهنا إشارة أيضاً لقصة إسحاق وإسماعيل (الذبيح) فإسحاق الابن الثاني لإبراهيم مصطفى على الابن الأكبر (اسماعيل) (آرمسترونج، ١٩٩٨م) .إذا كانت المسألة قاعدة دينية يعتقد فيها فئة من الناس؛ فلا جدال حول العقيدة ،أما إن كانت المسألة استخدام الدين لتوظيفه في إثبات حقوق تاريخية لفئة دون أخرى فذلك من دون شك مرفوض. ورغم أنها تشير إلى الكنعانيين في ثلاث صفحات؛ إلا أن هذا ليس رأي أحمد سوسة الذي يسجل تاريخاً كنعانياً معتمداً فيه على الآثار من صفحة (٢٦) إلى صفحة(٣٠٢) وقد اعتمد فيه على مصادر تاريخية وأثرية ودينية، وكتابه أقدم بكثير من كتاب آرمسترونج كما أن كتابه مترجم إلى اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية، والقصد من ذلك هو أن الكاتبة التي اعتمدت على مصادر عديدة لم تطلع على هذا الكتاب القيم وإن اطلعت عليه فهي لم تستفد منه في تأليف كتابها، وليس القصد فرض هذا الكتاب على الباحثة ، بل القصد أنه أليس من الواجب إذا توفر ما يقارب الثلاثمائة صفحة عن الكنعانيين في كتاب ما أن يكون ذلك دافعاً في البحث عنهم وعن تاريخهم.؟!

وتشير آرمسترونج إلى بعض المعلومات القليلة عن الكنعانيين ومنها: أن أول من بنى سوراً حول القدس اليبوسيون عام ٢٠٠٠ق.م(مالمات،٢٠٠١م). وتشير إلى قيام داود بشراء قطعة أرض من الملك(أرنان) الملك اليبوسي وكانت بعد ذلك قطعة الارض التي بنى عليها سليمان معبده (آرمسترونج، ١٩٩٨م). ويعود تاريخ الكنعانيين إلى ما قبل الألف الثالثة قبل الميلاد، لكن الأثريين عثروا على أقدم وجود كنعاني سبق مدن أريحا ومجدو في البحر الميت في حفائر (تليلات غسول) الواقعة شمال شرقي البحر الميت عام (١٩٢٩م)، كما عثر على أسماء كنعانية ترجع إلى الأسرة الخامسة المصرية عام (٦٥٩٢ق.م) كما ذكروا في رسائل العمارنة التي تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، أما كنعان فهو اسم مدينة بابلية وهو نفس الاسم الكنعاني الفلسطيني وجاءت هذه التسمية بسبب انتقال مهاجرين من بابل إلى كنعان فسموا مدينتهم على اسم بلدهم الذي جاؤوا منه طبقاً للعادة التي اتبعها المهاجرون في مختلف البلدان عبر التاريخ) (سوسة).

وتتجاوز الباحثة كل هذه المعلومات لتحاول ربط كل ما هو كنعاني ببني إسرائيل، حيث يشير الكتاب المقدس إلى شهور السنة الكنعانية لا إلى التقويم العبري مثلاً. (آرمسترونج، ١٩٩٨م) أفلا يمكن اعتبار هذا النص دليلاً على محاولات بني إسرائيل طمس الهوية الكنعانية للقدس؟!إن حضور الكنعانيين في التاريخ قديم، وهو منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وأما الحضارة الكنعانية (الفينيقية واليبوسية) والتي يدعي بعض الباحثين أن لا آثار أو تاريخ يذكر للكنعانيين فيها ليس مقبولاً لأمةٍ أوجدت الأبجدية الأولى في العالم أن تكون غير قادرة على توثيق منجزاتها الحضارية.

❖ العبرانيون أم بنو إسرائيل أم اليهود أم الصهاينة

تترك الحديث عن الكنعانيين بعد ثلاث صفحات لعدم توفر معلومات كافية عنهم، وبالعكس تقول عندما تبدأ الحديث عن بني إسرائيل : (نحن لا نعرف إلا القليل عن حياة بني إسرائيل في الفترة الأولى في أرض كنعان) إلا أنها تتحدث عن الفترة الأولى تلك في أربعة فصول بينما تتحدث عن تاريخهم ككل حتى الفصل التاسع من الكتاب.إن حديثها عن اليهود يدور حول المعبد (الهيكل) بحيث أن حياة اليهود تدور حوله منذ عهد موسى إلى اليوم فـ(يهوه) الغاضب منهم لن يتجلى لهم مرة

JJOAS المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية Jordan Journal of Applied Science
https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468
cc BY

أخرى ويقود اليهود نحو الجنة إلا إذا غفر لهم أخطائهم ولن يرضى يهوه إلا إذا قام هؤلاء الخطاؤون بإنشاء معبدهم (هيكلهم) على جبل صهيون. لذلك فهذا الرمز (المعبد(الهيكل)) يتقاطع مع الجغرافيا المقدسة (جبل صهيون) في أرضهم الموعودين فيها بدخول الجنة (أرض اللبن والعسل). (آرمسترونج، ١٩٩٨م)

لذلك لهم مطامع في المقدسات الإسلامية، ولا سيما الحرم الشري ففي تقرير المدير العام الإنكليزي لفلسطين (الجنرال بولز) في السابع من تموز عام (١٩٢٠م) بأن حاخامات اليهود ومجلس الربانيين اليهود، قد طالب حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين أن تسلمهم المسجد الأقصى جميعه .... (زعيتر، ١٩٨٦م) كما قال الزعيم الصهيوني ألفرد موند (اللورد ملشت) سنة (١٩٢٢م)، وكان وزيراً للأشغال في بريطانيا، وهو: (إن اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريباً جداً، وإني سأقف حياتي على بناء هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى)

واتخذت المحرقة(holókaustos) الإبادة الجماعية التي وقعت خلال الحرب العالمية الثانية و قُتِل فيها ملايين اليهود كما يزعم على يد النظام النازي لأدولف هتلر (ديلورم،١٩٨٣) ذريعة لتبرير ما بعدها يقول المؤرخ اليهودي(باري شميش): (بعد المحرقة عانى اليهود كثيراً من فقدان الإيمان. وقد وفر لهم صعود إسرائيل إيماناً متجدداً. وفي عالم مادي حلت إسرائيل محل الدين اليهودي كبؤرة رئيسية لاستمرار وجودهم، ويبدو أن ذلك يتحول إلى حالة كبرى من خيبة الأمل) (شميش، ١٩٩٨م)

وسمحت الباحثة في الكتاب إلى تتبع محاولات اليهود الأولى لبناء هيكل في مملكة موحدة تشبه كثيراً محاولاتهم اليوم بناء هيكل في قدس موحدة وتقول: إلا أن (اليبوسيين الساكنين في أورشليم لم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا إلى هذا اليوم) ولا يشير الكتاب المقدس إلى أن اليبوسيين تعرضوا لمجازر أو أنهم غادروا مدينتهم كما يُدّعى اليوم، وقد لا يتجاوز الأمر انقلابا قاده داود على قصر اليبوسيين، وقاد ابنه أبشالوم (سليمان) ثورة ضده، لذلك اضطر داود إلى استخدام القوة. (آرمسترونج، ١٩٩٨م) وأقام داود في القدس وتعاون مع السكان الأصليين ولم يكن مدمراً، وكان جيش سليمان يضم أسماء غير سامية، وكأنه احتفظ بجيش الفلسطينيين، وتزوج داود وسليمان من نساء يبوسيات(آرمسترونج، ١٩٩٨م)

ولا تشير إلى مملكة كبيرة واضحة المعالم في النصوص، ويشير البعض إلى أن (مملكة داود وسليمان الموحدة التي وصفتها التوراة على أنها دولة عظمى اقليمية، كانت في أحسن الأحوال مملكة قبلية صغيرة) (مالموت،٢٠٠١م).وتقول في المملكتين القديمتين يهودا والسامرة : لم يتمكن رحبعام حاكم السامرة من صد هجوم الفراعنة ، كما تعرضت يهودا لغزو آشوري انهار اشعيا وقرر تسليم نفسه للأشوريين.(آرمسترونج، ١٩٩٨م)   وبعد حديثها عن انقسام مملكة اليهود في القدس تشير إلى غزو وسبي متواصل لبني إسرائيل لم ينعموا معه بالراحة وبعد ذلك ظهرت قوة البابليين بقيادة (نبوخذ نصر)(٦٠٥ ق). الذي هاجم يهودا وسبى اليهود، ونهب المعبد ثم أحرقه ودمر المدينة بعد خيانة صدقيا له. وألقي اللوم على البابليين في تدمير يهودا. (آرمسترونج، ١٩٩٨م)

ورغم كل ذلك التفصيل التاريخي الكبير والموسع إلا أن استخدامها للمصطلحات خاطئ فاستخدام يهودا وبني إسرائيل في هذه المراحل من التاريخ لم يكن صحيحاً، والغريب أن أشهر مسلة على عهد النبي موسى عليه السلام والذي ظهر بعد تلك الفترة بزمن طويل لم تأتي على ذكرهم وهي مسلة ميشع.

وفي ترجمة لنقش مؤاب (مسلة ميشع) وهو نقش عموري كتب بالفينيقية (الكنعانية) ويضم أربعة وثلاثين سطراً أنقل بعضاً من ترجمة هذه النصوص:(أنا ميشا بن كيموش ملك مؤاب أبي ملك على مؤاب ثلاثين سنة وأنا ملكت؛ بعد ابي وأقمت بكركه (Karcha) هذا النصب لكيموش. حاكم السامرة أساء لمؤاب أياماً كثيرة حتى غضب كيموش. ولما جاء ابنه قال: سأنال من مؤاب. فنظرت إليه وإلى بيته (أي بعين الغضب) فأبدته إلى الأبد. وكان عمري قد أخذ مأدبا وسكن فيها هو وابنه وابن ابنه، أربعين سنة وكيموش يتسامح ثم أرجعها.)

بعد هذه الفقرات يبين كيف حضر لقاتل بيت عمري. (فسرت بالليل، وحاربت من مطلع الفجر إلى الظهر حتى أخذته. وقتلت منهم سبعة آلاف رجل ولم أقتل النساء. والعذارى قدمتهن لعشتر كيموش. وأخذت من كل أواني يهوه وأتيت بها إلى كيموش) (السعد،١٩٩٨م).

في تعليق جودت سعد على النقش (يرد اسم عمري بصيغة بيت عمري. كما لم يرد بصيغة ملك ولم يرد إطلاقا اسم إسرائيل) وقد أشار إلى يهوه إله العبرانيين والسامرة. لكن من اليهود هل هم عقيدة ولها أتباع كثر تختلف عن العبرانيين أصحاب

JJOAS المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية Jordan Journal of Applied Science
https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468
Published by Arab Journals Platform, 2023

اللغة وكثيرو التنقل والترحال أم هم بنو إسرائيل (يعقوب) عليه السلام. ويؤكد الباحثون على أنه ما من علاقة تربط بين اليهود وقبيلة (إبراهيم عليه السلام) التي أسهمت في الحل والترحال الآرامي، وإذا كان ذلك فهل توجد رابطة دم بين الموسويين واليهود، وماهي بالضبط اللحظة التي يمكن ابتداء منها الكلام عن اليهود و(استعمال مصطلح يهودي) خاصة أن اليهود كيان ديني بحت. سوسه)

تقول الباحثة توسعت مملكة داود وهُزم العمونيون شمال الأردن الحالي والمؤابيون وسط الاردن الحالي والأدوميون جنوب الأردن الحالي من قبل مملكة داود وتضع خارطة لمملكة داود (The KINGDOM OF DAVID) (آرمسترونج، ١٩٩٨م) ولا أظن أن هذا الأمر توافق عليه مسلة ميشع في تاريخ ظهور (موسى عليه السلام)، لكن ورغم وجود إشارات على أن داود انتصر في القدس لكن لا توجد إشارات واضحة على قضائه على تلك الممالك ولا على اليبوسيين.

ويطالعنا الدكتور احمد سوسة بنقش خاص بالحضارة الكنعانية (سوسه) والعبيرو (الخابيرو) لفظ سومري واستقر بالأكادية ورد في مخطوطات ماري وتل العمارنة ... وتعني قطاع الطرق أو المرتزقه. (السعد، ١٩٩٨م) فكيف لهم مملكة وهم متنقلون بطبيعتهم كما أن داود نفسه امتهن مهنة الرعي. كما أن حالات التنقل للعبرانيين تلك المشار إليها بالمصادر كثيرة لكنهم لم يكونوا قادرين على تجاوز مرحلة المعبد والذي تشكلت صورته في المنفى لا في القدس، وفقد كثير منهم إيمانه بسبب تلك الأيام المظلمة. (آرمسترونج، ١٩٩٨م) وكانوا في المنفى قد وجدوا العزاء والسلوى في التوراة. وتوجه بعضهم الى الصوفية مؤمنين بسفر باروخ الثاني الذي كتب بعد المعبد بثلاثين عاما. حيثوا آمنوا بعودة المعبد يوماً ما وسيتغلبون على ألم الفراق والضياع والنزوح (آرمسترونج، ١٩٩٨م). وهذ الفكرة بقيت وتبنتها الصهيونية كحركة استعمارية لذلك فإن الصهيونية تنمي فكرة – الاقتلاع من الجذور وفكرة اليهودي التائه في أصقاع الأرض وأرجائها، بلا وطن ولا شعب ولا أمة سوى إسرائيل، وعندما يعاملون كغرباء، أو كأجانب. ويزعمون أن سواهم هو المسؤول ويتهمونه بأنه لا يعترف لليهود بما يعترف لغيرهم من حقوق. (ديلورم،١٩٨٣)

لا يمكن وصف شيء لم يبق منه أي شيء، وهذا الأمر يتعلق بمعبد سليمان الذي يتحدث عنه اليهود اليوم، ووصفته الباحثة مستندة إلى معبد الكنعانيين أو سفر باروخ الذي كتب بعد المعبد بثلاثين عاماً، ثم تقول: لم يكتب البقاء لأي من ذلك.

وهذا الانقسام ألحق الدمار باليهود الذين أصبحوا عرضة للغزو إلى أن ظهر موسى في مصر وقادهم إلى مؤاب، ولم يتمكن من دخول القدس معهم ومات في وادي الأردن في بقعة غير محددة، رغم محاولات البعض الإشارة إلى قبر له مرتبط بموسم النبي موسى في بلاد الشام. (العسلي١٩٩٢م) وتمثل شريعة موسى (التوراة) أساس العقيدة اليهودية أما المشنى (المثنى) فهو من إضافات بني إسرائيل عبر الزمن، وبعد موسى عليه السلام وفي المشنى وصف حال من تبقى من يهود حيثوا قاموا بتوزيع أملاك المرحلين عليهم لكيلا تضيع (آرمسترونج، ١٩٩٨م). وهذه الرواية التي تذكرها الباحثة توضح مقولة ما أشبه اليوم بالأمس. لكن ليس على اليهود وإنما في تطبيقها على الفلسطينيين.

❖ المسيحية

ترى الباحثة أن المسيحية امتداد لليهودية وهذا ما يؤمن به أغلب المسيحيين فقد بشر اشعياء ببعث ملك مسيح يمسح بالزيت القدسي على رأسه (آرمسترونج، ١٩٩٨م) وفي الفصل السابع: "الدمار" تتحدث عن ظهور المسيحية لكنها تعتبرها امتداداً لليهودية وتقول: يهبط موكب صغير يقوده رجل يركب حماراً من جبل الزيتون دخل أورشليم وسمع صيحات تقول: (حُوشنا؛ أي أنقذنا)، وتردد أن الشاب هو يسوع، وأنه نبي من الناصرة في الجليل تنبأ بدمار المدينة والمعبد. أقواله حسب ما جاء في انجيل مرقس ويسوع نفسه كان مخاطرة لا يقبلها الشعب اليهودي (آرمسترونج، ١٩٩٨م)

وفي رواية أخرى حذر المسيح عليه السلام من دمار القدس بقوله: (ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل: فقال لهم يسوع ما تنتظرون! الحق أقول لكم: إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض) (الانجيل، متى،٢٤/١-٢) وتتعرض القدس بعد هذا الوقت لتدميرين رومانيين الأول سنة (٧٠م) والثاني سنة(١٣٥م). (جاسر، ١٩٩٥م)

وقد أعدم مسيحيون كثر كيعقوب العماد، ويعقوب الصديق، بعد أن تنبأ يسوع بدمار أورشليم، في عام (٧٠م) على يد تيطس ابن الإمبراطور الروماني سباسيان. (آرمسترونج، ١٩٩٨م) إذ تحدث ثورات يهودية في العهد الروماني في القدس، فيخرج الرومان بقيادة تيطس اليهود منها عام. (جاسر ١٩٩٥م)

https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468

وتقول الباحثة: ولا نعلم علم اليقين إن كان يسوع قد زعم أنه المسيح فمصادرنا يكتنفها الغموض، وقد اعتبر كلامه ثورة على السلطات في روما ، فأمر المجلس اليهودي الحاكم من خلال بيلاطس بالقبض على يسوع دون حواريه (خاصة أن اليهود لا يملكون سلطة الحكم بالإعدام، وكانت تهمته التجديف بالدين ،وأمر بأن يصلب ويجلد خارج أسوار المدينة في موضع الجلجلة وتوفي بسرعة مع أن الذين يعدمون صلباً قد لا يموتون إلا بعد ساعات، ودفنه أصحابه في صخرة تشبه الكهف، حيث دفن على عجل لاقتراب عطلة السبت، ولكن مع انتهاء المسألة ترددت شائعات أن يسوع قد قام من بين الموتى، وكان كثيرون يعتقدون أن الصالحين سوف يبعثون بعد موتهم في يوم الرب وتساءل كثيرون أن كان يسوع قد بعث استباقاً لذلك الحدث الوشيك).(آرمسترونج، ١٩٩٨م)

وكان بولس يعتقد بأن المسيح هو من جعل اليهود والأمميين واحداً، وكان أتباعه بما يؤمن به أتباع طائفة قمرا أن الله بصحبة المؤمنين (آرمسترونج، ١٩٩٨م) لقد كان المسيح هو يسوع المخلص الذي ينتظره كل اليهود وغيرهم ليكون خلاصهم الديني على يديه(العسلي،١٩٩٢) ومع ذلك رفضت دعوته من قبلهم. وكان لاعتلاء ثيودوسيوس عرش الإمبراطورية دور في إنهاء خلافات عديدة حيث أنهى خلاف المسيحيين حول آريوس، وبعد سنوات أصدر حظراً بمنع كل أشكال القرابين الوثنية، وبين عامي (٣٢٦- ٦٣٨م) أورشليم تصبح مدينة بيزنطية، فلم يكن المسيحيون

يبدون اهتماماً كبيراً قبل ذلك بالمعابد والمجسمات حتى تلك الآونة، فبدأوا يركزون على الأمور المادية التي أصبحت وسيلة توصلهم إلى القداسة (آرمسترونج، ١٩٩٨م).

ويعترض (لي سترانج) على المؤرخين المسلمين الذين لم يذكروا الأماكن المسيحية في أوصاف كتبهم، ويخلو ذلك من معلومات بسيطة ذكرها المسعودي عن معجزة القبر المقدس. (سترانج،١٩٧٠م) ولكن يرى كامل العسلي أن الفرق بين ظهور الأماكن المقدسة والكتاب المقدس قرن واحد زمنياً. (العسلي،)

تفرق أصحاب المسيح بعده، وظهرت فرق كثيرة (جاسر،) واعتبر المسيحيون أن ما جاء في التوراة من وعد إنما ينسحب عليهم، لأنهم أي (المسيحيون) وان كانوا يعترفون بأن هذا الوعد قد صدر عن الله لإبراهيم، إلا أنهم يقولون إن اليهود أضاعوا حقهم في الوعد، لأنهم رفضوا رسالة المسيح، وبذلك انتقل الحق في الوعد من أبناء إبراهيم في الجسد إلى أبنائه في الروح أي(المسيحيين) (العامري،١٩٧٤م).

❖ الإسلام

تقول الباحثة: وفي العام (٦٣٢ م) توفي نبي مرسل والأصح ٦٣٣م في مدينة يثرب، وبعد مضي خمس سنوات من وفاته تمكن جيش من أصحابه والتابعين من الوصول إلى مشارف أورشليم) (آرمسترونج، ١٩٩٨م). لتبدأ الحديث عن ظهور الإسلام والقدس. وفي فصل بعنوان (بيت المقدس) (بُعث محمد (صلى الله عليه وسلم) في مكة في مجتمع وثني تجاري كان على صلة باليهود والمسيحيين الذين طالما سخروا من العرب لعدم بعث نبي فيهم، فبعث محمد (صلى الله عليه وسلم) واستمر مدة ٢٢ عاما والأصح ٢٣عاماً يدعو إلى عبادة الله، ولم ينظر محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى أن وحيه جاء بجديد بل كان ببساطة امتداداً للإله الذي عبده اليهود والمسيحيون.) (آرمسترونج، ١٩٩٨م) ويحترم المسلمون الأنبياء رغم عدم اعترافهم بألوهية المسيح مثلاً بالإضافة الى اعتقادهم بالإسراء (سورة الأسراء) آية (١) (آرمسترونج، موسترانج، ١٩٩٨).

والإسلام ككل دين يبحث عن التكامل، الذي فقدته البشرية. وتشير إلى عبقرية محمد (صلى الله عليه وسلم) الروحانية والسياسية والذي جعل سبعين عائلة تغادر مكة إلى يثرب عام (٦٢٢م) وأصبحت تلك الهجرة بداية التاريخ الإسلامي، وكان على المسلمين مواجهة قوة مكة ذات السيادة الكبرى واليهود في يثرب وطردهم) (آرمسترونج، ١٩٩٨م).

ثم تشير إلى جوهر الدين الإسلامي وهو التآلف والوحدة فلا انشقاق ولا طوائف في الإسلام لذلك دهش النبي حينما اكتشف تنازع اليهود والمسيحيين على أمور عقائدية ليس بإمكان أحد أن يبرهن على صحتها من عدمها. وقد آلمه رفض يهود يثرب للإسلام، لأن الإسلام أمر بالعودة إلى دين إبراهيم الذي لم يكن يهودياً ولا مسيحياً، وكان التعامل مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن، فالإسلام لا يلغي الأديان الأخرى بل جاء بإعادة صياغة تذكر بالرسالة الواحدة التي أرسلها الله للأمم جميعاً، وهذا الأمر أثر على سياسة المسلمين في أورشليم.

وتقول: (مراكز المسلمين المقدسة أولها مكة وهي بيت الله الاله الأعلى والحجر الأسود مطمور في جدار الكعبة وهو حجر نيزكي سقط وأصبح حلقة وصل بين السماء والأرض فالكعبة، كالمعبد اليهودي في أورشليم والكعبة أرض محرمة ، وتمثل ملاذاً من الممارسات الحربية وأعمال العنف بيد أن محمداً عندما علم المسلمين السجود ... أخبرهم ألا يتوجهوا نحو

JJOAS المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية Jordan Journal of Applied Science
https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468
CC BY

الكعبة بل نحو أورشليم ، وحينما وضح أن معظم يهود يثرب لن يتقبلوا محمداً عام (٦٢٤م)أعلنت الأمة استقلالها عن موروثات اليهود وأمرهم الإسلام بالتوجه نحو مكة، وكان في ذلك عودة إلى تقاليد إبراهيم الأصلية قبل انقسامها وتشرذمها، وكان ذلك إعلانا ضمنياً أن المسلمين لن ينحنوا لأي ديانة قائمة بل لله الواحد...، وتؤكد أن المسجد الحرام هو مكة، لكنها تقول إنه لا يوجد نص صريح في القرآن على أن المسجد الأقصى هو أورشليم(وبأن المسلمين الذين جاءوا بعدهم هم الذين قاموا بذلك التعريف)(سترانج)معززة رأيها بأن المؤرخين القدامى خلفوا لنا القليل عن بناء المسجد الأقصى بينما خلفوا لنا الكثير عن تاريخ بناء الصخرة وفي صفحة(٣٣٩)تبدأ بوضع صور لأماكن مقدسة من ضمنها قبة الصخرة وتكتب بجوارها (تبدو قبة السلسلة إلى جوار قبة الصخرة الذهبية .

استخدمت القبة في المساجد والأضرحة في كل أنحاء العالم الإسلامي كرمز للصعود الروحاني والاندماج) (في تعليقها على الصورة) (آرمسترونج، ١٩٩٨م) ويشير لي سترانج إلى خلط الكثيرين من باحثي الغرب بين أوصاف المسلمين التي يطلقونها على الجامع والمسجد والحرم داخل المسجد الأقصى.(٥٨) (سترانج،١٩٧٠) حيث يعتقد أن المسجد الأقصى الذي أسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو المسجد ذو القبة الخضراء بينما قبة الصخرة الذهبية تعد الموضع الذي صعد منها إلى السماء، ورغم تمييز المسلمين بين المسجدين إلا أن كل المساحة داخل الأسوار تعد حرماً بالنسبة للمسلمين وتحظى برمزية دينية كبيرة عندهم لذلك فأن وصف المصادر الإسلامية الإنفاق على مسجد قبة الصخرة أو التخطيط لبنائه في العهد الأموي لا علاقة له بالمكانة الدينية للمسجد الأقصى أو قبة الصخرة في القدس.

ولا علاقة له بالجهاد المعماري بعد الغزو الصليبي) (آرمسترونج، ١٩٩٨م). والذي استمر في العهود التالية له.

❖ الرمــــوز في كتاب آرمسترونج

الرمز وهو المعبد سواءً باليهودية أو المسيحية أو الإسلام، لكنها تبدأ بالمعابد الكنعانية لتجعل الرابط بين المعابد أما وثني أو ديني (إذ تشير إلى تاريخ شعور الإنسان بالقداسة في القدس من خلال آلهة الكنعانيين ومعبدهم ثم معبد داود عليه السلام) (آرمسترونج، ١٩٩٨م). ثم تبين أن انقطاع العابدين عن المكان المقدس كان يعني (فقدان يهودا الصلة مع السماء ، ولم يكونوا قادرين على بناء معبد ليهوه في بابل فبيته في صهيون) ثم جاءت فكرة أن الله لا يرتبط في معبد كما قال حزقيال)(آرمسترونج، ١٩٩٨م) ومع خروجهم للصحراء التي اعتبرت مقدسة في نظرهم ومحاولة حزقيال التخفيف من صلتهم في المعبد، فإن قيمة أورشاليم زادت في المنفى، وكان اليهود يكررون قولهم :(العام القادم في أورشليم) لكنها في وصفها لمعبد الهيكل اليهودي (الذي لا يوجد أثر له) تستعين بوصف الكتاب المقدس وآثار معبد الكنعانيين لوصفه، لذلك لا يتوانى الباحثون العرب من إظهار مدى غضبهم ورفضهم واستغرابهم من محاولات الخلط تلك من مثل (يحشرون هذا الاسم في توراتهم)(جاسر) ، ومن وجهة نظري، فإن دمج اليهود عقديتهم بالتراث الكنعاني أدى إلى محاولة طمس الآثار الكنعانية القديمة وهي نفس السياسة التي يقومون بها عندما يدخلون مدينة عربية إذ يقومون بطمس معالمها أكثر من البحث عن الهيكل المزعوم.

ووفقاً لما يقوله الكتاب المقدس:(يوجد في المعبد ثعبان من البرونز، كان على الأرجح يرتبط بالديانة اليبوسية القديمة، ويرى التثنويون (المشنه: المثنه) الرافضين للمعابد أن دين صهيون كان معيباً وغير أصيل، وإن لم يكن بالمقدور إلغاء المعابد إذن فلتقتصر على معبد واحد(آرمسترونج، ١٩٩٨م) ، يبدو أن المعابد لم تكن ضمن الثقافة اليهودية، بل كانت العبادة في الصحراء لأجل الاتصال بالرب بالبرية، و إلى منع المعابد من قبل أهل المشنة، والمعبد كان يعني اخذ فكر أهل الوثن).ويرى كازانتزاكي أن الحلم الصهيوني سينتهي بشكل تدريجي، وكان ينظر إلى الشتات كحتمية تاريخية، شكلت الجنس العبري عكس مشيئته ورغباته)(كازانتزاكي،١٩٨٩) لكن الأمر اختلف مع ظهور يسوع، فلم يعتبر المسيحيون القداسة موجودة في المعابد أو في الحجارة وهذه الصورة أدت إلى عدم بناء معابد في القدس حتى اعتناق الإمبراطور قسطنطين(٣٣٣م)المسيحية وكان دافع البناء ليس دينياً بقدر ما هو تأثر بالفكر الهيليني. لقد كانت القداسة لدى أتباع المسيح تكمن في المسيح نفسه، لا بالمعبد (آرمسترونج، ١٩٩٨م)، ويؤكد ذلك أن أول ذكر للقبر المقدس كان في عظة دينية سنة ١٦٠م (العسلي، ١٩٩٢)

يمثل المسجد الأقصى مفهوم المسلمين الشامل للقداسة. إنه تعبير عن التوحيد وعن قداسة الوجود. وجميع الأماكن مقدسة في الإسلام ولا يوجد موضع أكثر قداسة من غيره. بيد أن الإسلام دين واقعي لقد أدرك محمد (صلى الله عليه وسلم) احتياج العالم للرموز، ومنذ السنوات الأولى تعلم المسلمون أن ينظروا إلى أماكن ثلاثة على أنها مراكز مقدسة للعالم، وبقيت القدس رمزاً ساعد المسلمين على تكوين هويتهم بعيداً عن العالم الوثني، ومركزاً خاصاً لحياتهم الروحية) (آرمسترونج، ١٩٩٨م)

https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468

وفي الصخرة التي تعد مكاناً مقدساً للمسلمين في مسجد الصعود على جبل الزيتون والتي يعتقد أنها تحمل أثر قدم المسيح. ويبجل المسيحيون والمسلمون المكان الذي يعتقد أن المسيح صعد منه إلى السماء (آرمسترونج، ١٩٩٨م).

وقد تنبئ عيسى عليه السلام أن (يهوه) سوف يقوم بعد انتصاره النهائي ببناء معبد جديد في أورشليم حيث تعبده جميع الأمم (آرمسترونج، ١٩٩٨م). وفي المسيحية رأى الناس في عهد يوشيا الذي حاول الإصلاح أن الرموز عجزت عن أداء مهمتها، أي أنها تتوقف عن الإفصاح عن الألوهية، بل إنها تصبح عقبات تعوق الخبرة الدينية. (آرمسترونج، ١٩٩٨م).

يؤكد السرد التاريخي للباحثة أن أغلب اليهود لا يؤمنون بضرورة وجود المعبد، فما من معبد في القدس، وأما المعتقد المسيحي فهو أيضاً يشير إلى أن الفكر المسيحي الأول لم يشر إلى معابد في القدس، وأن الفكر الديني الوحيد الذي ربط العبادة بمعبد كان الفكر الإسلامي خاصة المسجد الأقصى والمسجد الحرام المذكورين في سورة الإسراء، أو المعابد العادية.

وفي رحلة حاج بوردو التي حظيت بجدل كبير نظراً لوصفه للقدس، نفى فيها وجود معبد لليهود في القدس، وجعل بعض الباحثين العرب من هذه الرواية دليلاً على عدم وجود معبد يهودي في القدس.

وكانت رحلة حاج بوردو عام (٣٣٣م) للأماكن المقدسة في القدس والتي بها اليهود، لأنها تشير إلى مسيحيي العهد القديم، ويورد الحاج وصفا لمعبد الجبل، إذ يقوم الحاج بوصف تمثالي هادريان بقوله: انه رأى (حجراً مُثقباً كان اليهود يزورونه مرة كل عام، ويمسحون بالزيت عليه، ويندبون وينعون حالهم، ويمزقون ملابسهم ثم يرحلون) ولم يذكر ذلك الحجر إلا هذا الحاج. تراه كان يعني النتوء الصخري البارز فوق منصة هيرود.... والذي أصبح اليوم جزءاً من قبة الصخرة الإسلامية؟ والباحثة تتساءل بهذه الصورة لتنفي روايته. ويقول مرغوليوث: (إنه لا يزال على مقربة من الصنمين اللذين أقامهما مادريانوس في ساحة الهيكل صخرة مثقوبة، كان من عادة اليهود أن يمسحوها بالزيت مرة في السنة حينما يجتمعون وينوحون ويبكون، وسكب الزيت على الحجارة عادة دينية سابقة لعهد موسى وشريعته لا تجيزها) (جاسر،١٩٩٥) فهل المقصود بالهيكل هذه الصخرة؟ وهذه الشريعة عادة قديمة أي كنعانية وهذه الرواية إذا ما اعتمدت بصورة عامة تلغي نهائياً الحديث عن معبد.

لكن الباحثة تهاجم رواية سائح بوردو وتقول: إن هذا الحاج لم يشاهد الطقوس اليهودية بنفسه بل استقى أخبارها من غيره، ولم يحصل على المعلومات الصحيحة من مصادرها. لقد افترضت أن وصفه غير صحيح، وأنه سمع من آخرين، واستندت في كثير من رواياتها على معلومات فردية لكنها لا توضح الركائز التي دفعتها لرفض رواية هذا الحاج. وتستعين بروايات حاجة تدعى (إيجيريا) رغم كونها وحيدة و (تأخذ الباحثة برواياتها حول الأماكن المقدسة في القدس) وتقول إن رواياتها مسهبة بعكس الروايات المقتضبة التي رواها حاج بوردو وذلك في تاريخ ٣٨١م. (آرمسترونج، ١٩٩٨م)

أظن أنها تأخذ برواية الحاجة إيجريا لكنها لا تراعي الفرق الزمني بين رحلة سائح بوردو والسائحة إيجيريا، خاصة أن السنوات بين عامي٣٣٣م – ٣٨١م. ليست قليلة حيث حكم الإمبراطورية أربعة حكام بعضهم بنى وبعضهم هدم في القدس بناء على قولها، لذلك فإن نقدها لسائح بوردو يجانبه الصواب. وهذا ما استندت عليه الصهيونية في احتلالها للقدس، أي أن فكرة المعبد كلها من نسج الخيال الصهيوني، وأنه ما من رمز واضح للعقائد الثلاث كوضوح الرموز الإسلامية فيها، هذا التاريخ الذي سردته كان الهدف منه عدة أشياء منها:

القدسية في المعابد أم بمبادئ الدين

وهذا السؤال من أهم أسئلتها أما القداسة -وقد عرفتها في البداية- فتصفها بأنها (فكرة تثير الهلع والفزع لكنها في الوقت ذاته فكرة لا تقاوم لأن الإنسان يرى فيها ما يألفه على أعمق المستويات).(آرمسترونج، ١٩٩٨م) كلمة المقدس هي: (أكثر كلمة مكررة من العلمانيين والمتدينين، فهي كلمة (مقدسة) ماذا تعني كلمة مقدسة في مدينة ملئا بالخطائين؟ إلا أن لكل دين تقاليد خاصة بالقدس تتشابه تشابهاً كبيراً فيما بينها الأمر الذي يدفعهم للإخلاص لمدينة القدس بصورة تشكل ظاهرة عالمية، لذلك هناك ما يسمى بالخريطة المقدسة، والتي لا علاقة لها بالخريطة العلمية للعالم) (آرمسترونج، ١٩٩٨م). ولفظ المقدس لفظ إسلامي. (جاسر،١٩٩٥والعسلي،١٩٩٢) أما الاسم القديم لها فهو أور سالم(أورشاليم) أي الإله الراعي ونجم السماء الكنعاني، وله زوجة اسمها سولاميت وله ولها ولأبنائهم جميعاً هيكل لجميع الآلهة اليبوسية في القدس) (العسلي،١٩٩٢). لا علاقة له بإله اليهود (يهوه). فلا المعابد ولا الرموز له علاقة بالإيمان، أما المقدس قد لا يكون مقدساً لحقيقته وأصله بل قد يكون مجرد موروثٍ ورث الأبناء عن الأجداد قداسته، فإذا ما حاولنا البحث في حقيقة قداسته قد تنتفي تلك الصفة عنه.

JJOAS المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية Jordan Journal of Applied Science
https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468
CC BY

❖ التعايش أم القتال

عند الحديث عن الكنعانيين تشير إلى روح أبناء داود وداود المتسامحة على جبل صهيون: (لقد صلى أبناء داود وأرونة على جبل صهيون معاً واستبدل (إيل علون) الإله الأعلى لليبوسيين بعرش يجلس عليه يهوه إله اليهود). (آرمسترونج، ١٩٩٨م) فيما يؤكد الكتاب المقدس على (أن يهوه سيقاتل في سبيل أورشليم، مثلما قاتل بعل في سبيل تركته في أوغاريت) (آرمسترونج، ١٩٩٨م) حيث عالم يعيش فيه (الذئب مع الحمل، والنمر مع الجدي، والعجل مع الشبل) (اشعياء ٦/١١).

لذا وعلى فترات متباعدة ومع دخول الرومان القدس يمتزج الدين اليهودي بثقافتهم (فمع دخول ثقافة البوليس والالعاب الاولمبية امتزج الشعب اليهودي بالهيليني قرابة سنة (١٨٠ق.م.) وقدم الكهنة المال لملوك اليونان، ولم يكونوا يرغبون في أن تستمر يهوذا دولة معبد ذات طراز عتيق قائمة على أساس التوراة، بل كانوا يأملون أن تتحول أورشليم إلى مدينة يونانية وأن تسمى أنطاكية) (آرمسترونج، ١٩٩٨م). وهذا يمثل أولاً دعوة للاندماج مع أصحاب العقائد الوثنية وطنيين(كنعانيين)كانوا أم غزاة (رومان). كما أنه ورغم التشابه الكبير بين فكرة اليهود والمسيحيين إلا أنهم بدأوا يشعرون بالعداء تجاه بعضهم بعضاً، إلى درجة أن نسب المسيحيون كتاب اليهود المقدس لهم، وأطلقوا على أنفسهم اسم إسرائيل الجديدة، وهذا أمر أغضب اليهود، وتساءل أحدهم أثناء مناظرة مع المسيحيين قائلاً: (لماذا تأخذون ما ينتمي إلينا وتنسبونه لأنفسكم) (آرمسترونج، ١٩٩٨م).

وهذا الصراع بينهم وبين اليهود ليس هو وحده بل هناك نزاع مسيحي مسيحي وصفه (كازانتزاكي) في رحلة حج شاقة ومكلفة إلى الشرق بقوله: (كانت كنيسة القيامة تطن كأنها خلية نحل عظيمة، وقف راهب أرثذوكسي يرسل نظرات حاقدة صفراوية، نحو الأقباط والكاثوليك، والأرمن، وانحنى إليه وقال له: هذه الكنيسة كلها ملك لنا نحن الأرثوذكس.) أجبت: أرجو من الله أن يأتي ذلك اليوم الذي تمتلئ فيه قلوبكم بالحب) (كازانتزاكي، ١٩٨٩م). وتقول: (قد يكشف الحيز المقدس عن أرضية مشتركة بين أتباع الديانات الإبراهيمية الثلاث الذين يعيشون الآن في حالة توتر في القدس) (آرمسترونج، ١٩٩٨م).

رغم أن فصول كتاب آرمسترونج يبدأ بـ (صهيون وينتهي بصهيون) وهي نقطة مهمة في حديثي هنا، لأنه لم يبدأ بالكنعانيين وينتهي بهم، أو يبدأ بالمسيح وينتهي بالمسيح. وأعني هنا هل هي تقصد جبل صهيون (الجغرافيا المقدسة) أم أنها تؤكد على ملكية اليهود لمعبد على جبل صهيون؟! فرغم ذكرها للمسلمين والمسيحيين مع الصهاينة في آخر فصل إلا أنهم لم يحصلوا على حيز في هذا العنوان، كما لم يحصل الكنعانيون على حق تسمية الفصل الأول باسمهم، إن عدم تحيز الباحثة في كثير من القضايا ومحاولة إيجاد صيغة توافقية بين الأديان يجعلنا نمتنع عن القول إنها متحيزة للصهاينة، ولكن مما لا شك فيه أنهم نالوا القدر الأكبر من الاهتمام في كتابها. وتشير الباحثة إلى أنه ما من داع يدعو لازدياد الخصومات حول القدس، وأن بمقدور المتخاصمين أن يعيشوا في سلام فيها خاصة أن نظرة (القداسة) واحدة رغم اختلاف الأسباب التي جعلت من القدس محط عنايتهم وخصومتهم ونحن معها في ذلك.

لكن كيف يمكن التعايش في ظل شعور هؤلاء العرب أن أرضهم سلبت منهم وأنه ليست ملكاً لأحد خاصة عندما (عجزوا عن استرداد بقعة غالية مقدسة من وطنهم اغتصبت ظلماً وعدواناً من قبل عصابات ...) (زعيتر، ١٩٨٦م)

كما أن إسرائيل كدولة حديثة لم تستطع أن تسيطر على الفكرة التوراتية وانتشارها بين المتدينين لتنشأ دولة آمنة مستقرة. ودليل ذلك أنه تم التخطيط سابقاً لجعل نصف سكان الحي اليهودي في مدينة القدس القديمة المسورة من اللادينيين، بعد أن فتحت أمام المقيمين اليهود في أواخر الستينات، حيث كان أول من تجرأ وفكر في الاستملاك هناك كان من اللادينيين الذين أثبتوا إمكانية العيش بأمان قريباً جداً من العرب. وبدأ المواطنون الأرثذوكس يشترون حصصهم من الأراضي والملكيات المتوفرة ليكونوا قريبين من الأراضي المقدسة التي يقع فيها جبل الهيكل! (وما يسمى بحائط المبكى وهو جزء من تلك الأرض (شميش، ١٩٩٨م). فهي تسكن اللادينين في القدس حتى لا تعاني من نتاج الصدام بين العرب والمتدينين اليهود، فهم لا يزالون يشعرون بعدم الأمان لا لرفض الدين الإسلامي أو المسيحي لها بل لأنها شكلت كيانها على أسس غير صلبة وعلى عقيدة لا علاقة لها بالتوراة الحقيقية. بل الأسوأ من ذلك أنها لا تثق بالأصدقاء قبل الأعداء، فرغم كل الكفاح لتأسيس دولة في إسرائيل ليهود الشتات، ورغم كل الكفاح من أجلها (إلا أن عقدة الشعور بعدم الأمان أدى إلى قرارات أمنية خاطئة حتى مع أصدقائها ومنها فضيحة لافون عام(١٩٨٠م) عندما حاول اليهود نسف مكاتب أمريكية في القاهرة وقد قضت هذه الفضيحة على حياة بن غوريون المهنية.) (شميش،١٩٩٨م) وما دامت إسرائيل تزعم لنفسها الحق في فرض قانونها على يهود العالم قاطبة، وما دامت تطمح إلى لم شملهم، وإنهاء تشتتهم باسم شعار أرض الميعاد، على أرض تضطر إلى التوسع فيها توسعاً مستمرا، فهي تشكل تهديداً بالعدوان دائماً على جيرانها. (ديلورم، ١٩٨٣م).

JJOAS المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية Jordan Journal of Applied Science
https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468
cc BY

وبما أن الجراح والقتل عبر الزمن مستمر فإنه عندما (يصيب الروح المعنوية العربية حينما ينتصر الأخر عليهم روح أن النصر قد كتب لأعدائهم نهائياً وأنهم بعددهم الوافر لم يتمكنوا من ذلك) (زعيتر، ١٩٨٦). فإن العنف سيدوم لأثبات الوجود على تلك الأرض. وإذا كان حلم الصهيونية بني على أساس المحرقة، لا على أساس الحق يقول أرنولد توينبي، في كلمة وجهها إلى فريق من طلاب جامعة (ماك جيل) في مونتريال: (ليست معاملة عرب فلسطين، في عام(١٩٤٧م)، مما يمكن تبريره أكثر مما يمكن تبرير مذبحة الملايين الستة من اليهود الذي قتلهم النازيون) (ديلورم،١٩٨٣) وقد يكون ذلك صحيحاً إذا كانت المحرقة صحيحة.

إن الباحثة تشير إلى (رسم اليهود (المتنبؤن:مؤلفو الرؤى) بسبب هذه الظروف صورة أحداث الأيام الأخيرة على الأرض وهو تجمع أبناء القبائل الاثنتي عشرة من الشتات ليطهروا فيه المدينة ويبني الرب فيه معبداً جديداً).) (آرمسترونج، ١٩٩٨م) وهذا المعبد هو نقطة الحرب المستعرة، ووقود الحرب تلك محرقة هتلر لليهود في الحرب العالمية الثانية(١٩٤٥م).

إذ يخشى يهود العالم أنه (في الوقت الذي تضمحل فيه ذكرى المحرقة وتتلاشى، فإن جيلاً جديداً من اليهود يبحث عن الاعتزاز والفخر بوطنه إسرائيل، ولا يجد بدلاً من ذلك إلا الجريمة والفساد والطمع). (شميش، ١٩٩٨) فما هو الوقود الذي يحتاجونه لتمسك تلك الأجيال بفلسطين إن لم تكن بصورة تلك المحرقة. أما روح التوسع المستمرة سواءً كان ذلك بالعلم الإسرائيلي المتوج بنجمة المعبد وبنهرين يطوقانه فإنها لا تدل إلا على الجغرافيا المقدسة فما المقصود بالجغرافيا المقدسة؟

❖ الجغرافيا المقدسة

مصطلح استخدمته آرمسترونج كثيراً، ولكن لم أعثر على كتب جغرافيا تتناول هذا الموضوع، وحتى أصحاب الكتب الجغرافية التاريخية يتناولون الجغرافيا من خلال علاقتها بالإنسان أو آثاره.)(البحيري ، ٢٠٠٢م) حيث أشار نورمان بنتويش: (إلى أنه لا حاجة أن تكون فلسطين المستقبل محدودة بحدودها التاريخية ، ففي إمكان المدنية اليهودية الامتداد إلى جميع البلاد التي وعدوا بها في التوراة وهي: من البحر المتوسط حتى الفرات ومن لبنان حتى نهر النيل، هذه هي البلاد التي أعطيت للشعب المختار ٩٧)(زعيتر، ١٩٨٦م).وأعطيت بناء على نص (سفر التكوين(١٤/١٣- ١٦) (وقال الرب لأبرام ... ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، واجعل نسلك كتراب الأرض...) بينما يشدد الجغرافيون العرب على أن القدس عاصمة فلسطين وأهم مدنها، ومقدسة في نظر أصحاب الديانات السماوية (الكتري، ٢٠١٤م)و(العامري، ١٩٧٤)

لقد جعل البرلمان اليهودي شعاره (حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل) ومن ينظر في الخريطة القومية التي أعدوها لدولتهم المنشودة يجدها تشمل فلسطين وشرقي الأردن وسورية ولبنان وقسماً كبيراً من العراق وقسماً واسعاً من الأراضي المصرية بما فيها شبه جزيرة سيناء كلها إلى الدلتا، وكثيرون منهم يطمعون في الاستيلاء على أراضي جنوبي العقبة والمدينة المنورة، أي المناطق التي يزعمون أنها كانت لهم في الحجاز. (زعيتر،١٩٨٦م) وهذه هي حدوده الجغرافية المقدسة في تخيلهم.

٥. الخـاتمة

بناءً على ما تقدم سابقاً فإن الرسالة التي حاولت الباحثة بثها من أجل التعايش وإيجاد رابط بين مختلف الرموز في الأديان الثلاثة؛ تخالفها حقيقة الفكرة الصهيونية التوسعية، التي حاولت عبر الزمن أن تفرض فكرها وتجعله صفة ملاصقة للفكر الديني اليهودي أيضاً ونشره، والذي لم يكن ضمن الروح العميقة لفكر أنبياء بني إسرائيل.

حمل المسيح عليه السلام رسالة سلام وتعايش مع كل الأمم والشعوب وهذه الرسالة ستبقى خالدة على ألا يعكر صفوها التشاحن المستمر بين أبناء العقيدة الواحدة، وهذا لا يعني أن الإسلام لم توجد فيه فرق وطوائف مختلفة متناحرة إلا أن ثوابت العقيدة لا يسمح بمسها خاصة الإيمان بالمساجد الثلاثة ودورها الرمزي الكبير، بالإضافة إلى روح التعايش والتسامح التي دعا إليها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). وبما أن الصراع على القدس ليس صراعاً على فطرة الأديان السليمة، وإنما هو صراع بين الصهاينة المستعمرين الذين تبنوا ما هو شاذ وبعيد عن فكرة الدين اليهودي، ليثبتوا حقوقاً لهم في القدس أو الشام أو في المملكة التاريخية لإسرائيل لم تكن على أسس تاريخية صحيحة، بل على خرافات وأوهام، حاولوا نقلها حتى إلى أصحاب العقائد الأخرى. ونظراً لأن الفئة الأكبر وليست الأقوى من مسلمين ومسيحيين ترغب في التعايش إلا أن الأقلية الأقوى (الصهاينة) والأكثر تأثيراً على مستوى العالم لا ترغب إلا بالقتال كما بينت النصوص السابقة. فإن الصراع مستمر وفي

JJOAS المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية Jordan Journal of Applied Science
https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468
CC BY

الوقت الذي نقدر فيه للكاتبة روحها المتسامحة ومحاولة التوفيق بين الأديان؛ إلا أن فئة منهم لا ترغب في ذلك، وإن الجهد الذي عليها أن تبذله في محاولات إقناعهم بذلك سيكون أكثر من مجرد كتاب، لأن الصهاينة لن يتوقفوا عن القتال ما دامت المحرقة وسيلة دعائِية فاعلة لتحقيق هدفهم في بناء هيكل سليمان المزعوم. وعليه فإن القتال مفروض على العرب في بلاد الشام وهو كره لهم، وبما أن تاريخ العرب في بلاد الشام هو التاريخ الكنعاني أو الآرامي أو المؤابي قبل وجود العقائد الثلاث؛ فإن عليهم أن يقاتلوا لاسترداد أرضهم ومجابهة الحركة الصهيونية.

٦. التوصيات

بعد دراسة كتاب الباحثة كارين أرمسترونج (القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث) أجد أن الباحثة بذلت مجهوداً كبيراً في دراسة تاريخ الأديان السماوية الثلاثة في القدس، كما بذلت مجهوداً كبيراً في محاولة إيجاد صيغ التعايش فيما بينهم، لكنها قدمت العديد من الأفكار التي يتفق في بعضها ويختلف في البعض الآخر الباحثون حول تاريخ مدينة القدس ورغم ذلك فالكتاب يحتاج إلى:

١. دراسة مستفيضة لكافة مضامينه، بحيث يجب مناقشة العديد من القضايا التي طرحتها الباحثة.
٢. رغم وجود دراسات هامة عن الحضارة الكنعانية كدراسة أحمد سوسة إلا أن عدد كبير من الباحثين في الغرب لم يطلع عليها رغم قيمتها المعرفية الكبيرة. الأمر الذي يحتاج إلى تعزيز تلك الدراسات على مستوى العالم.
٣. الحاجة إلى المزيد من الدراسات التاريخية والأثرية التي تبين المنجزات الحضارية الكنعانية في القدس.
٤. تفنيد الرواية التوراتية المسيطرة على أغلب الدراسات في العالم اليوم وإثبات عدم دقتها، والتوقف عن اعتمادها كمرجعية لدراسة تاريخ القدس.
٥. إن دراسة الحضارة الكنعانية وتفنيد الرواية التوراتية سيؤدي بالضرورة إلى حل الكثير من الاختلاف في وجهات النظر حول تاريخ مدينة القدس.

بيان تضارب المصالح

يقر جميع المؤلفين أنه ليس لديهم أي تضارب في المصالح.

المراجع

القرآن الكريم

الإنجيل

ابن البطريق، سعيد. (٣٢٨ هـ) .*التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق* .بيروت، لبنان: مطبعة الآباء اليسوعيين.

البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي. (٤٨٧ هـ) .*معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع* (م. السقا، محقق، ج٢). بيروت، لبنان: عالم الكتب.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ياقوت. (٦٢٦ هـ) .*معجم البلدان* (ج٣). بيروت، لبنان: دار صادر.

ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمذاني. (٣٤ هـ) .*تاريخ البلدان* .مطبعة بريل.

البحيري، صلاح الدين .(٢٠٠٢) .*قراءات في التاريخ والجغرافيا* .الأردن: دار الصفاء.

جاسر، محمود شفيق .(١٩٩٥) .*تاريخ القدس العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها حتى الحروب الصليبية* .المجمع الثقافي.

حتي، فيليب .(١٩٨٢) .*تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين* (ك. اليازجي و ج. حبور، مترجم). بيروت، لبنان: مؤسسة فرانكلين ودار الثقافة.

ديلورم، روجيه .(١٩٨٣) .*إني أتهم* (ن. كلاس، مترجم). الدراسات الفلسطينية، دار الجرمق.

https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jjoas-h/vol35/iss2/9

زعيتر، أكرم .(١٩٨٦) .*القضية الفلسطينية* .عمان، الأردن: دار الجليل.

سترانج، لي .(١٩٨٢) .*فلسطين في العهد الإسلامي* (م. عمائرة، مترجم). عمان، الأردن: وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الثقافة والفنون.

السعد، جودت .(١٩٩٨) .*أوهام التاريخ اليهودي* .عمان، الأردن: الأهلية للنشر.

سوسة، أحمد .(٢٠١٤) .*العرب واليهود في التاريخ* .بيروت، لبنان: دار الوراق.

شاحاك، إسرائيل .(١٩٧٥) .*من الأرشيف الصهيوني* .بيروت، لبنان: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية.

شميش، باري .(١٩٩٨) .*سقوط إسرائيل* (ع. جولاق، م. العابد، و ع. رمان، مترجم). عمان، الأردن: الأهلية.

العامري، محمد أديب .(١٩٧٢) .*عروبة فلسطين في التاريخ* .بيروت، لبنان: المكتبة العصرية.

عرابي، رجا عبد الحميد .(٢٠٠٩) .*الكافي في تاريخ القدس* (دراسة حول تاريخ القدس منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الحاضر). دمشق، سوريا: دار الأوائل.

العسلي، كامل جميل .(١٩٩٢) .*القدس في التاريخ* .عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

الجامعة الأردنية .(١٩٩٠) .*موسم النبي موسى في فلسطين* (تاريخ الموسم والمقام). عمان، الأردن.

كازانتزاكي، نيكوس .(١٩٨٩) .*رحلة إلى فلسطين* (م. سمارة و م. الظاهر، مترجم). عمان، الأردن: المؤسسة العربية.

الكتري، بحري .(٢٠١٤) .*جغرافية فلسطين* .عمان، الأردن: دار الصفاء.

مالمات، أبراهام .(٢٠٠١) .*بدايات تاريخ بني إسرائيل* (ر. عبد الله الشامي، مترجم، ج١). القاهرة، مصر: المكتبة المصرية.

مهيار، ياسر .(٢٠٢٠) .*مقال منشور بتاريخ ٢٠١٠/٠٩/٠٢* .جريدة العرب اليوم، عمان، الأردن.

JJOAS المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية Jordan Journal of Applied Science
https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v35i2.468